الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي

لقد اهتمت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بعقد « أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب » نشرت فيه جميع مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، فجاءت جميعها في اثني عشر مجلدا .

وقد طالعت بفضل الله كل هذه المجلدات صفحة صفحة ، فلم أجد فيها في أي مقام أي طعن أو ردّ إنكار من الشيخ محمد عبد الوهاب على التصوف أو على أحد من مشايخ التصوف بسبب تصوفه ، وهذه المجلدات موجودة ميسرة تباع في الأسواق والمكتبات ويمكن لأي أحد أن يقتنيها ويطالعها ويتحقق فيما ذكرته .

بل إني قد وجدت قطعات مختلفة في مؤلفاته هذه من كلامه الذي يتبين منه بجلاء ووضوح موقفه الصريح من التصوف والسادة الصوفية رحمهم الله ، وسأذكرها فيما يأتي بتوفيق الله وإحسانه وعليه سبحانه التكلان : ـ

١ ـ « القسم الثالث من مؤلفات الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب » جزء « فتاوى ومسائل » ، قام بجمعها وتصحيحها ومقابلتها على أصولها الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم ومحمد بن عبد الرازق الدويس في الصفحة رقم (٣١) المسألة الخامسة ، سئل رحمه الله عن مسائل مفيدة فأجاب:

(اعلم ـ أرشدك الله ـ أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى الذي هو العلم النافع ، ودين الحق الذي هو العمل الصالح .

إذا كان من ينتسب إلى الدين : منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء ، ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية .

فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين [١] .

---

(١) أي الفقه والتصوف ، كما هو واضح .

ومن أعظم ماامتن الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم ، فيذكر الله تعالى في كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل مالا يحصى .

وكذلك يتكلم رسول الله ﷺ بالكلمة الجامعة . ومن فهم هذه المسألة فهما جيداً فهم قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ، وهذه الكلمة أيضا من جوامع الكلم .... الخ) .

٢ ـ القسم الثاني من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (الفقه) المجلد الثاني صفحة (٤) في رسالة (أربع قواعد تدور الأحكام عليها) يقول فيها :

(اعلم رحمك الله أن أربع هذه الكلمات مع اختصارهن يدور عليها الدين سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير أو في علم الأصول أو في علم أعمال القلوب الذي يسمّى علم السلوك [1] أو في علم الحديث أو في علم الحلال والحرام والأحكام الذي يسمى علم الفقه أو في علم الوعد والوعيد أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين .... الخ) .

٣ ـ مؤلفات الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الرابع : (التفسير ومختصر زاد المعاد) مختصر زاد المعاد صفحة (٨٤)تأليف الإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب قال : فصل « في هديه ﷺ في الاعتكاف » :

لما كان صلاح القلب واستقامته في طريق سيره إلى الله تعالى متوقفا على جمعيته على الله ولمّ شعثه بإقباله بالكلية على الله ، فإن شعث القلب لايلمه إلا الإقبال على الله ، وكانت فضول الشراب والطعام وفضول مخالطة الأنام

---

(١) وهو التصوف كما هو معلوم اهـ .

وفضول المنام وفضول الكلام مما يزيده شعثا ، ويشتته في كل واد ، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى ويضعفه أو يعوقه ويوقفه ، اقتضت حكمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه ولا يضره .

وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله والانقطاع عن الخلق والاشتغال به وحده فيصير أنسه بالله بدلا عن أنسه بالخلق فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبر .

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم ، شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم وهو العشر الأخير من رمضان ، ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم ولافعله رسول الله ﷺ إلا مع الصوم .

وأما الكلام فإنه شرع للأمة حبس اللسان عن كل مالا ينفع في الآخرة .

وأما فضول المنام فإنه شرع لهم من قيام الليل ماهو من أفضل السهر وأحمده عاقبة ، وهو السهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن ولا يعوق العبد عن مصلحته . ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك [١] على هذه الأركان الأربعة ، وأسعدهم بها من سلك فيها المنهاج المحمدي فلم ينحرف انحراف الغالين ، ولاقصَّر تقصير المفرطين ، وقد ذكرنا هديه في صيامه وقيامه وكلامه ، فلنذكر هديه في اعتكافه .

---

(١) وهم الصوفية كما هو معلوم اهـ .

٤ ـ مؤلفات الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ملحق المصنفات) « هذه المسائل » صفحة (١٨٢) قال :

(ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه وتبليغه لغير العرب بالترجمة ، وإذا تدبر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم وجد القرآن والسنة كاشفا لأحوالهم مبينا لحقهم ، مميزا بين حق ذلك وباطله ، والصحابة أعلم الخلق به ، وهم أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين ، كما قال ابن مسعود : من كان مستنا فليستن بمن مات فإن الحي لاتؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

فأخبر عنهم بكمال بر القلوب مع كمال عمق العلم ، وهذا قليل في المتأخرين كما يقال : من العجائب : فقيه صوفي وعالم زاهد .

فإن أهل بر القلوب يقترن بهم كثير لعدم المعرفة التي توجب المنهي عن الشر والجهاد [١] ، وأهل التعمق في العلم قد يذكرون من معرفة الشرور والشبهات ما يوقعهم في الغي والضلال .

وأكثر المتعمقين في العلم من المتأخرين يقترن به التكلف المذموم من المتكلمين والمتعبدين ، وهو القول والعمل بلا علم وطلب مالا يدرك خلافا لما عليه الصحابة .

وهذا منٌّ من الله على هذه الأمة كما في أثر المسيح « أهب لهم من علمي وحلمي » وهذا من خواص متابعة الرسول ، فمن كان له أتبع كان فيه أكمل) .

---

(١) لعلها : الفساد المحقق اهـ .

٥ ـ (ملحق المصنفات) « هذه مسائل » وفي صفحة ١٢٤ ذكر عقب بحث نفيس عمن أنكر محبة الله ومن أثبتها ، قال :

(فنفس محبته أصل عبادته ، والشرك فيها أصل الشرك في عبادته أولئك فيهم شبه من النصارى وفيهم شرك من جنس شرك النصارى) .

ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون يوصون كثيرا بمتابعة العلم ، قال بعضهم : « ماترك أحد شيئا من السنة إلا لكبر في نفسه » .

وهو كما قال ، فإنه إذا لم يكن متبعا لما جاء به الرسول كان متبعا لهواه بغير هدى من الله ، وهذا عيش النفس ، وهو من الكبر ، فإنه شعبة من قول الذين قالوا : ﴿ **لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله** ﴾ اهـ .

٦ ـ وقد نقل العلامة الجليل الشيخ محمد منظور النعماني « رئيس قسم الحديث بدار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ الهند « سابقا » ، وعضو المجلس التأسيسي للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند » في رسالته « دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب » طبعة مكتبة الفرقان ، صفحة (٧٦)بعد مابيَّن أن للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رسالة مستقلة شاملة تلقي الضوء الساطع على دعوة وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، يقول فيها مانصه : ـ

(فأخبرناهم بأن الذي نعتقد وندين الله هو مذهب أهل السنة والجماعة وسلف الأمة في أصول الدين ، وأما في الفروع فنحن على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل ولاننكر من قلد الأئمة الأربعة ولانستحق مرتبة الاجتهاد ولاأحد منا يدعيه إلا أن في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب الله أو السنة غير منسوخ ولامخصوص ولامعارض بأقوى منه وقال به أحد من الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب ، وقد سبق من أئمة المذاهب الأربعة اختيارات لهم

في بعض المسائل مخالفة لمذهب الملتزمين تقليد صاحبه .... الخ) .

وينهي الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رسالته هذه بقوله : ولاننكر الطريقة الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح مهما استقام صاحبها على القانون الشرعي والمنهج القويم المرعي ، إلا أننا لانتكلف له تأويلا في كلامه ولافي أفعاله ، ولانعول ونستعين ونستنصر ونتوكل في جميع أمورنا إلا على الله تعالى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم [1] .

(١) الهدية السنية صفحة ٥٠ ، ورسالة الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي التي قدمنا منها مقتطفات موسعة ، مندرجة في مجموع الرسائل التي تشرح دعوة الشيخ محمد ومبادئها ، المسمى بالهدية السنية وأمامنا طبعتها الثانية التي نشرها العلامة المرحوم رشيد رضا صاحب « المنار » مع تعليقاته من مطبعة المنار بمصر في سنة ١٣٤٤ هـ .